

محاضرات في علم النفس الاجتماعي الأسري

الدكتورة راضية متوري

جامعة الجزائر 2

الأسرة خصائصها ووظائفها:

الأسرة هي الخلية الأساسية في المجتمع، كما تعتبر أهمّ جماعته الأولية، وتتكون من مجموعة من الأفراد، تربط بينهم صلة القرابة، وتساهم في جميع جوانب النشاط الاجتماعي، مثل: الجوانب المادية، والاقتصادية، والعقائدية، وغيرها.

تعددت آراء العلماء في تعريف الأسرة، حيث عرّفها بعضهم بأنها جماعة اجتماعية، والبعض الآخر عرّفها كنظام اجتماعي، وفيما يلي تعريفات بعض العلماء للأسرة: مصطفى الخشاب: الأسرة عبارة عن جماعة إنسانية، وتنظيمية، مكلفة بواجب تطوير المجتمع، واستقراره. كولي: الأسرة عبارة عن الجماعة أو الجماعات، التي تؤثر على نمو الفرد، وأخلاقه، منذ المرحلة الأولى من عمره وحتى يستقل بشخصيته، ويصبح مسؤولاً عن نفسه، ويصبح عضواً فعالاً في مجتمعه. بل وفوجل: الأسرة عبارة عن وحدة بنائية، مكونة من رجل وامرأة، يرتبطان مع بعضهما البعض، بطريقة اجتماعية منظمة، ويرتبطان مع أطفالهما سواءً بيولوجياً، أو من خلال التبني.

ميردوك: هي عبارة عن جماعة اجتماعية، تقيم في مسكن مشترك، وظيفتها التكاثر، لإمداد المجتمع بأفراد لهم فعالية. هارولد كريستس: هي عبارة عن مجموعة من المكنات، والأدوار التي يتم اكتسابها من خلال الزواج. بوجاردس: هي عبارة عن جماعة اجتماعية صغيرة، تتكوّن بالعادة من الأب والأم وطفل أو أكثر، يتبادلون الحب، ويتقاسمون المسؤولية، وتربي الأسرة الأطفال، وتوجههم، وتضبطهم، ليتصرفوا بطريقة اجتماعية.

أنواع الأسرة:

الأسرة النووية: وهي التي تتألف من الزوج، والزوجة، وأطفالهما.

الأسرة الممتدة: وهي التي تتألف من الزوج والزوجة، وتشمل الأجداد والأحفاد وبعض الأقارب. على شرط اشتراكهم في معيشة واحدة. تساهم الأسرة في جميع جوانب النشاط الاجتماعي، الاقتصادية، والمادية، والعقائدية، والروحية، ويوجد لها حقوق وواجبات، مثل: حق التعلم، وحق السكن، وحق الصحة، وواجب نقل التراث واللغة عبر الأجيال.

وظائف الأسرة:

وظيفة بيولوجية، متمثلة في حفظ النوع البشري عن طريق الإنجاب، وتوفير الرعاية الجسدية، والصحية، وتوفير السكن الصحي، والغذاء الصحي، والكساء، والدواء، والتعليم لأفراد الأسرة. وظيفة اقتصادية، من خلال المشاركة في عملية الإنتاج، ومدّ المصانع ومجالات العمل بالأيدي العاملة.

وظيفة اجتماعية، من خلال نقل قيم وعادات وتراث المجتمع، والمحافظة عليها، وتعليم الأبناء ثقافة التعامل مع الآخرين، وتنمية الروح الاجتماعية فيهم، وروح احترام الآخرين، واحترام آرائهم وحقوقهم الشخصية.

وظيفة ثقافية، من خلال تعزيز الروح الثقافية لدى الأبناء، وتعزيز أهمية الثقافة في صقل الشخصية وبنائها، والحرص على نقل التراث الثقافي للأبناء.

وظيفة نفسية، وتتمثل في الرعاية والإحاطة العائلية، من خلال توفير الراحة النفسية للأبناء، وإظهار الحب والحنان والسلام لهم، من خلال العيش بجو هادي آمن، وخالٍ من التوتر، أو القلق، أو أي خطرٍ محيطٍ.

وظيفة دينية وأخلاقية، من خلال توجيه الآباء لأبنائهم، وتقديم الخبرات الكافية المتعلقة بتعاليم دينهم، وعن إيجابيات التحلي بالأخلاق الدينية، والأخلاق الصالحة.

وظيفة سياسية، متمثلة بالمشاركة في صناعة القرارات، التي تخصّ الدولة، أو المجتمع. وظيفة تعليمية، من خلال بثّ روح العلم والتعلم، وأهمية التعليم في الحياة وبناء المجتمعات، فالأسرة هي المسؤولة عن وضع الأساس الأول للتعليم الرسمي الذي يتجه إليه الطفل، وعن متابعة أبنائها، والإشراف على أدائهم الواجبات المتعلقة بالتعليم. وظيفة مادية، من خلال توفير الدعم المادي، لضمان حياة كريمة لأفراد الأسرة، من خلال التخطيط للدخل، وطرق الإنفاق بما ينفعها، وتأمين المستقبل، من خلال توفير جزء من الدخل: لقد نشأت الأسرة عن مرحلة فوضى جنسية بدائية تشبه إلى حد كبير الحياة التي يعيشها الحيوان، ثم انتقل الإنسان من هذه المرحلة إلى الزواج الجماعي، ثم التف الأبناء حول أمهاتهم وظهر النظام الأمومي Matriarchal وبعده ظهر النظام الأبوي Patriarchal والذي كان يشمل على تعدد الزوجات ثم بلغ أقصى تطوره ووصل إلى أسمى المعاني الروحية للأسرة وأخذ شكل زواج الرجل (1) بزوجة واحدة. إن الأسرة بوصفها نظاما اجتماعيا قديما قدم النوع الإنساني في حد ذاته، إلا أن مسألة نشأة الأسرة وتطورها لازال يغطيها الكثير من الغموض، فليس هناك حتى وقتنا الحاضر تاريخ سليم وشامل لنظام الأسرة ومراحل

تطورها، منذ العصور القديمة حتى وقتنا الراهن، مما جعل بعض العلماء الدارسين لتاريخ النظم الاجتماعية وتطورها عبر التاريخ يضطرون إلى الاعتماد على التخمين والافتراض من أجل وضع نظرية للأسرة، وخير مثال على ذلك اعتماد الكثير من علماء القرن 19 على مبادئ النظرية الداروينية التطورية (1860-1900) والتي استمدت مبادئها من نظريات داروين، باعتمادها على مبدأ أساسي وخاص وهو أن جميع المجتمعات البشرية تتطور في نظمها الاجتماعية وتتغير، وهي بذلك تمر بمراحل تطورية، كل مرحلة تمثل انتقال المجتمع من حال أقل رقياً إلى حال أكثر رقياً

أدوار ووظائف الأسرة:

إن الأسرة باعتبارها الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل، فهي تمثل العامل الأول المؤثر في صنع سلوك الطفل بصيغة اجتماعية، ومن ثم تبدو أكثر جماعات التنشئة أهمية وكفتها أكثر ترجيحاً عن المؤسسات الأخرى، لما تتركه في شخصية الطفل من آثار إيجابية أو سلبية، فلا يمكن أن تحل أي مؤسسة أخرى محل الأسرة في المراحل المبكرة من عمر الأبناء، فهي التي تبدأ بتعليم الطفل اللغة وتهيئته لاكتساب الخبرات المتخلفة ليصبح فرداً يخدم نفسه أولاً ومجتمعه ثانياً الدور التربوي للأسرة: إن الأسرة هي التي تنشأ الروابط الأسرية والعائلية للطفل، والتي تكون بدايات العواطف والاتجاهات الاجتماعية لحياة الطفل وتفاعله مع الآخرين، كما أنها تهيئ للطفل اكتساب مكانة معينة في البيئة والمجتمع، حيث تعد المكانة التي توفرها الأسرة للطفل بالميلاد والتنشئة محددات مهما للشكل الذي سوف يستجيب به الآخرون تجاهه، "يكاد يتفق جل علماء الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا الاجتماعية على أن الأسرة هي الخلية الأساسية التي يقوم عليها كيان المجتمع، ولذلك عدت من أهم المؤسسات التربوية التي تساهم بقوة في تشكيل الفرد، كما أنها مصدر السلوك الشخصي"، إضافة إلى أن الأسرة هي الموصل الجيد والناقل المعتمد لثقافة المجتمع لأطفالها، فهي الوسيط الأول لنقل هذه الثقافة بمختلف عناصرها لأطفالها، كما تشارك الأسرة بأشكال مباشرة وغير مباشرة في أنما مهنية أشكال الثقافات الفرعية من خلال التفاعل الاجتماعي، فالأسرة تمثل الجماعة المرجعية الأولى للطفل في معارفه، قيمه، ومعاييرها، فهي توفر للطفل المصدر الأول لإشباع الحاجات الأساسية له، فهي الأساس الاجتماعي والنفسي أيضاً، توجد بالأسرة أدوار مختلفة داخلها، ومن أهمها: دور الأم ودور الأب ودورهما معا وتلعب الأم دوراً أساسياً في الحياة الأسرية، وفي حياة الأبناء بالأساس، والأم اليوم نجدها تقوم بعدة أدوار الأمر الذي وسع من مساحة فعاليتها في أسرتها، قد يحدث صراع في هذه الأدوار أو يسودها التماسك والانسجام، وفي جميع الحالات تنعكس على الأسرة وعلى عملية التنشئة الاجتماعية

باعتبارها تجمع بين التكوين البيولوجي للطفل واحتياجات النمو الاجتماعي من ناحية أخرى. فالأم في إطار الثقافة الشعبية ترتبط في أدائها لأدوارها العديد من المتاعب، فبسبب الظروف الاقتصادية الصعبة التي يمر بها المجتمع ، نجد أن دخل الزوج قد لا يكفي لإشباع الحاجات الأسرية المتزايدة، هذا ما يولد نوع من التوتر الذي تتحمله الأم والذي ينتقل من خلالها إلى الأبناء، وقد تحاول الأم البحث عن عمل لإشباع حاجات أسرتها والتخلص من التوتر، غير أنها إذا وجدت العمل سيزيدها إرهاقا ويكون على حساب أسرتها، ونواجه هنا أنواعا من الأمهات؛ فإذا كانت أما أنانية تسعى لتحقيق طموحاتها ونجاحها في عملها يكون هذا على حساب أسرتها، وتصبح الأسرة مصدر توتر لها، وقد تعمل الأم لكن تظل احتياجات أسرتها هي أولويتها الأساسية، لكن دورها سيكون مقصر فيه ويصاحبها التوتر وتقله بدورها إلى أفراد أسرتها، وتصبح الأم هنا الشماعة التي تعلق عليها كل الأخطاء في العمل، الأسرة وفي المجال العام، وهنا نجد أن المرأة -هنا بالتحديد- هي الأكثر معاناة من هذا التحيز الاجتماعي، فهي المسؤولة عن ترشيد الإنفاق برغم محدودية دخل الزوج، وهي المسؤولة عن الإسراف والإنجاب، ويتجاهل المجتمع دور الرجل، كما أنها المسؤولة عن إنجاب الإناث، ونتيجة لكل العوامل السابقة، قد لا تكون ناجحة في العمل وعاجزة عن توفير السعادة في حياتها الأسرية، لها ولأفراد أسرتها ويمكن تلخيص الدور التربوي للأم في الأسرة في النقاط التالية: - توفر للأبناء الحنان والمودة والعطف - تقدم لأبنائها صورة محترمة لبناء شخصية سليمة ومنتزعة - تسهر على سلامة وصحة أبنائها - تمارس السلطة في أسرتها مع ضرورة الاستماع وإعطاء جو من الديمقراطية أيضا - بوصفها نموذجا أو موضوع اقتداء يجب أن تتجنب: التجاوزات كتجاوز السلطة والحماية المطلقة (لأن لا تؤدي بالطفل للخوف من المسؤوليات في المستقبل).

إن الأب المنتمي للشرائح الاجتماعية الدنيا والمتوسطة؛ مستهدف بعدد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها المجتمع عموما، فيخلق لديه حالة من عدم الرضا بسبب عجزه عن إشباع الحاجات الأساسية له ولأسرته من وثم تنتقل هذه الحالة إلى أسرته، وينمو الطفل على قدر من العدوانية، أو قد ينجو الأب بنفسه عن طريق الاستمتاع ببعض دخله على حساب أسرته تاركا بقية الدخل لأسرته يواجهون الحياة به، في إطار حالة من الصعوبة الكاملة التي تعمق حالة الغضب لديه نحو محيطه الاجتماعي، وقد يتجه الأب في حالة ثالثة لمواجهة مشكلات الحياة بأسلوب آخر ألا وهو البحث عن فرص عمل أخرى تستهلك وقت أكبر مما يعطيه لأبنائه، وذلك بهدف الحصول على دخل قادر على إشباع حاجاتهم الأساسية، وقد يفرض هذا العمل الإضافي

غياب الأب الطويل عن أسرته وقد يفرض عليه الانتقال إلى مجتمع آخر يجعله غائبا في أدائه لدوره في تربية أبنائه. ويوجد نوع آخر من الآباء ألا وهو الأب الذي يعاني من مشكلة أو إعاقة دائمة فيصبح عبئا على أسرته أو الأب الذي له نزواته الانحرافية والذي يصبح خطرا على أسرته ويسبب الكثير من المشاكل بوصف الأب رئيسا للأسرة عليه أن يستمع إلى ابنه ويوفر له الحنان الضروري لتنشئة تنشئة سليمة ومنتزعة يتدخل عند الضرورة بشكل واضح وموجز ومباشر وصارم أخذا في الاعتبار سن الولد، وسمات كل مرحلة عمرية وكيفية التعامل معها يقدم لولده صورة محترمة تمكن الطفل من إرساء شخصيته، بوصفه قدوة أو نموذج يحتذى به، يجب أن يتجنب التجاوزات مثل تجاوز السلطة الحماية المفرطة والصراعات المتكررة أمام الاطفال، الغياب المتكرر عن الأسرة مما يؤدي إلى عدم التوافق الاجتماعي.

أهمية الأسرة:

تعتبر الأسرة نسقا اجتماعيا رئيسيا بالمجتمع يتفاعل في إطاره الوالدين مع الأبناء لتشكيل شخصية سليمة اجتماعيا ونفسيا، لكي يقوموا هم بدورهم بأدوار منوطة به في المستقبل بصورة فعالة في المجتمع الذي ينتمون إليه، مما ينعكس على باقي الأنساق الاجتماعية التي تتعامل معها الأسرة كوحدة كلية، وكلما زادت قدرة الأسرة على رعاية أبنائها وتوجيههم وتنشئتهم دون أن يشعروا بالحرمان أو الضغط أو القسوة أو التساهل، كلما كان الطفل سويا قادرا على تحمل مسؤوليته في إطار احترامه وتقديره لذاته وذوات الآخرين في نفس الوقت ، فإذا ضعفت الخلية الأساسية في المجتمع ضعف مصدره ونقطة ارتكازه، أي أن الأسرة التي أصيبت بأمراض فكرية وأخلاقية متعددة المصادر والمرجعيات، تثمر انحلالا أخلاقيا فظيعا، وانحطاطا فكريا وإنسانيا في العلاقات الإنسانية لم يشهد له مثيل، يطغى عليها التمزق والتشتت، ويغيب التكامل الاجتماعي بين مختلف أوساط المجتمع، وتصير الأسر محطمة وتبدأ العائلات بالتفكك وينتشر الطلاق وتقل نسبة الزواج، وتنتشر الفاحشة وتتعدد أنواع العلاقات غير الشرعية، كل هذا يثمر تمزقا في أوصال المجتمع وهو ما أوصلنا إلى ما نحن عليه ، إذا وجب علينا العودة بالخلية الأساسية إلى موقعها الأساسي وجعله من أهم أهدافنا والمحافظة عليها، تلك الخلية أو المؤسسة الإنسانية التي يحتمي بها الإنسان ويحقق من خلالها جوهره، ويكتسب داخل إطارها هويته الحضرية والأخلاقية.

وتبرز أهمية الأسرة؛ في أن الرعاية التي يتلقاها الطفل في أسرته في السنوات الأولى من حياته هي العامل الرئيسي في تكوين صحته النفسية والفعالية، ويمكن تلخيص أهمية الأسرة في النقاط

التالية أنها تمثل أول نموذج مثالي للجماعة التي يتعامل الطفل مع أفرادها وجها لوجه وهي بدورها التي تشكل سلوكه وتوجهه وتلقنه القيم التربوية والمعايير الاجتماعية.

الأسرة والتنشئة الاجتماعية:

إن التنشئة الاجتماعية من أولى العمليات الاجتماعية وأخطرها شأنًا في حياة الفرد، فقد أدركت المجتمعات البشرية قديمها وحديثها خطورة هذه العملية، لذلك كانت الدعوة واضحة إلى ضرورة توفير عناية ورعاية خاصة بالطفل وتنشئته التنشئة الاجتماعية السليمة، من أجل المحافظة على استمرار العادات والتقاليد والخصائص الاجتماعية للمجتمع. كما نجد في كتاب "ميلاد مجتمع" للباحث "مالك بن نبي" حيث يتحدث عن التربية في قوله "ليس الهدف منها أن نعلم الناس أو يقولوا أو يكتبوا أشياء جميلة، ولكن الهدف أن نعلم كل فرد فن الحياة مع زملائه، أي نعلمه كيف يتحضر"؛ هنا يتحدث عن التنشئة الاجتماعية فهي عملية أساسية تعمل على تكامل الفرد في جماعة اجتماعية عن طريق عملية اكتسابه لثقافة مجتمعه ولغته وكذا المهارات والأدوار والقيم والاتجاهات التي تكمل شخصيته، والتي تؤدي إلى تحقيق تكامله مع المجتمع الذي يعيش فيه، وهنا تبرز وظيفة الأسرة دون سائر المؤسسات الأخرى.

لهذا يعتبر موضوع التنشئة الاجتماعية من الموضوعات الهامة التي حظيت باهتمام عدد كبير من الباحثين والمفكرين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، فلقد لعبت دورا هاما في حياة الشعوب القديمة والحديثة على السواء وتتزايد أهميتها الحيوية في الفترة الراهنة بصفة خاصة، وذلك لأن من أهم مظاهر المجتمعات اليوم هي سرعة التغيير ومواكبة هذا التغيير لا تأتي إلا ببناء الإنسان من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية في مختلف مراحل حياته.

ولقد قدم العديد من الدارسين في هذا المجال بإعطاء تعريفات كثيرة لمفهوم التنشئة الاجتماعية، فنجد من يعرفها على أنها "العملية التي يكتسب فيها الفرد بصورة اختيارية المهارات والمعارف والاتجاهات والحوافز الموجودة في الجماعة التي هو عضو فيها"، وعلى هذا فإنها تشمل تلك العمليات التي يتعلم فيها الفرد كيف يفهم البناء الاجتماعي ويتكيف معها بشتى الصور، ويؤكد بعض علماء الاجتماع على أن التنشئة الاجتماعية هي العملية التي تحول بها الأسرة الطفل من كائن عضوي إلى كائن اجتماعي يأخذ مكانه في الحياة الاجتماعية". وفي نظر علماء الاجتماع تعرف التنشئة الاجتماعية على أنها تعلم الرموز للدخول في جماعة اجتماعية ثم تطوير الاستعدادات الفردية للمشاركة في حياة الجماعة.

كما يعني مفهوم التنشئة الاجتماعية من الناحية السوسولوجية؛ عملية إدماج الفرد في المجتمع في مختلف الجماعات الاجتماعية واشتراكه في مختلف فعاليات المجتمع، وذلك عن طريق استيعابه لعناصر الثقافة والمعايير والقيم الاجتماعية التي تتكون على أساسها سمات الفرد ذات الأهمية الاجتماعية.

ان الشخصية لا تولد مع الفرد ولكنها تتكون وتتمو معه تدريجيا بتفاعله مع المحيط الاجتماعي الذي ينشأ فيه، ومن أولى المؤسسات الاجتماعية الأسرة؛ فإذا كانت صالحة تلقى دروسه الأولى في الثقة بالنفس والاعتماد عليها والشجاعة والإقبال والتسامح والتضحية والاهتمام بشؤون الغير واحترام الآخرين والتعاون معهم، أما إذا كانت الأسرة غير صالحة في جوها وعلاقاتها وأساليب تربيتها فإنها لا تنتج عادة إلا شخصا مضطربا في نفسيته بالإضافة إلى ذلك فإنها عملية تعلم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى اكتساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق النفسي الاجتماعي معها ولكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في المجتمع .

نستخلص من التعريفات السابقة أن التنشئة الاجتماعية هي عملية إدماج الطفل في الإطار الثقافي العام المحيط به، وهذه العملية قد تتم بشكل مباشر عن طريق تدريب الآباء للأبناء السلوك المقبول اجتماعيا، أو قد تتم بشكل غير مباشر عن طريق تقليد الطفل لسلوك الكبار ومحاكاتهم لتصرفاتهم، بحيث يصبح التراث الثقافي جزءا لا يتجزأ من الأسرة تقوم بنقل ثقافة المجتمع أو الجماعة إلى الأفراد الجدد، وقد ذهب البعض إلى القول بأن البناء الاجتماعي يدور ويستمر رغم التغير المستمر في أعضائه نتيجة التنشئة الاجتماعية، ويطلق البعض على هذه العملية بعملية التطبيع الاجتماعي، وذلك من خلال تلك الشبكة من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي تحدث داخل إطار معين من المعايير والقيم، و من جهة أخرى تفاعلات ديناميكية مستمرة بين البيئة والفرد، حيث يؤدي هذا كله إلى نمو ذات الفرد تدريجيا و تكيفه مع المحيط الذي ينتمي اليه.

العائلة الجزائرية:

الأسرة الجزائرية التقليدية (العائلة)، كانت أسرة ممتدة مركبة متصلة برابطة الدم، وهو النمط المكون من عدد كبير من الأفراد تجمعهم في الغالب صلة القرابة، " فالعائلة الجزائرية هي موسعة، تتضمن عدد كبير من الأفراد يتراوح عددهم من 20-60 شخص يعيشون جماعيا، وتعتبر العائلة الجزائرية عائلة بطريقية، يكون فيها الأب أو الجد هو قائد الجماعة.

لعل من أهم الظواهر المنتشرة والمرتبطة بالأسرة الجزائرية في الآونة الأخيرة، تحولها من نمطها الممتد الواسع إلى نمط الأسرة الحديثة المحدودة الأطراف، نتيجة التغيير الكبير الذي صاحب التغييرات في المجتمعات الصناعية، وانتشار اتجاه استقلالية الأسرة النووية عن وحدات النسق الأسري الكبير، حيث خضع المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات الأخرى إلى صيرورة تاريخية في مراحلها المختلفة، بدءاً من الفترة الاستعمارية التي امتدت من سنة 1830 إلى 1962، أما بالنسبة لفترة ما بعد الاستقلال والتي امتدت من عام 1992 إلى الوقت الحاضر، فقد شهدت فيها الجزائر تحولات وتغييرات سريعة في مسيرتها نحو التقدم، باعتبارها بلد متطلع في مجالات كثيرة السياسية فيها والاجتماعية والثقافية، وكل تحول في المجتمع ينعكس أثره بالدرجة الأولى على كافة الأبنية الاجتماعية، ومنها البناء الأسري، فعلى سبيل المثال زيادة نسبة الولادات مثلاً تمس المجتمع مباشرة، وذلك بزيادة النمو الديمغرافي والذي يترتب عنه بعض الآثار السلبية، كارتفاع نسبة البطالة، وانخفاض الدخل الفردي وبالتالي ضعف في المستوى المعيشي وغيرها من المشكلات الاجتماعية المصاحبة.

فبالأسرة الجزائرية بعد أن كانت أسرة ممتدة (عائلة موسعة) ذات أطراف متعددة، أصبحت عائلة محدودة العناصر (أسرة نووية) وتعرف هذه المرحلة بمرحلة انقسام العائلة، كما أن الحياة الاجتماعية في المجتمع الجزائري أصبحت خاضعة إلى التغيير قصد التجديد في جميع الميادين، ولهذه العملية وغيرها وسائل وأساليب معينة كالسياسة التنموية والمواثيق الرسمية وغيرها، والهدف من ذلك تكوين مجتمع متطور قادر على أن يدمج الأسرة النووية في كل المسالك، وأن تكفل لها ولأفرادها من آباء وأبناء؛ الاحتياجات التي تتطلبها الحياة العصرية.

وإذا أردنا إعطاء تعريف الأسرة الجزائرية، بعد أن عرفنا مفهوم مصطلح الأسرة في نقاط سابقة، نجد أننا وجدنا تعريف لما كان يطلق على الأسرة الجزائرية اليوم ألا وهو مصطلح العائلة الجزائرية، وهذا ما يقابل الأسرة الممتدة، نتعرض أولاً لتعريف ما اصطلح عليه سابقاً بالعائلة في قاموس علم الاجتماع لـ Willems Emilio، حيث يعرف العائلة كالتالي: "هي المؤسسة الأساسية التي تشمل رجلاً أو عدداً من الرجال يعيشون زواجياً مع امرأة أو عدد من النساء ومعهم الخلف الأحياء وأقارب آخرين وكذلك الخدم"؛ هذا التعريف للعائلة ما يقابله الأسرة الممتدة اليوم هو تعريف اجتماعي، يحدد أعضاء الأسرة حيث يشمل الرجل أو الرجال، الزوج أو الأزواج، المرأة أو النساء والأقارب (زوجة الابن وزوجة الأخ وآخرين) ثم الخدم فهم يعدون ضمن أفراد هذه الأسرة

الكبيرة، فالعائلة هي إنتاج جماعي يعكس صورة المجتمع الذي توجد وتتطور فيه، فالعائلة تتحول حسب ظروف المجتمع الذي تنتمي إليه.

ولقد عرف الباحث "مصطفى بوتفوشيت" العائلة الجزائرية على أنها: "هي عائلة موسعة، حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجية وتحت سقف واحد (الدار الكبرى) عند الحضر و الخيمة عند البدو، إذ نجد من 20 إلى 60 شخص أو أكثر يعيشون جماعيا.

تعتبر الأسرة صورة مصغرة للمجتمع الكبير نفسه، إذ نجد أن العلاقات السائدة في المجتمع هي نفسها التي تسود في الأسرة، وأن الثقافة السائدة في المجتمع تسود هي الأخرى الأسرة والتغيرات التي تحدث ضمن الأسرة لا يمكن فصلها عن التغيرات التي تحدث في المجتمع وخاصة في مرحلة انتقالية بين القديم والجديد، وأي تغير في المجتمع يقتضي تغير الأسرة، والعكس صحيح، ولا يمكن التعرف على الأسرة الجزائرية وتطورها دون التعرض للتحويلات والتغيرات التي حدثت وتحدث في المجتمع الجزائري في حد ذاته، فقد كان المجتمع الجزائري قبل الاستعمار يتكون من مجموعة من القبائل والعشائر وعلى رأس كل قبيلة أو عشيرة شيخ، وله مرتبة خاصة في هذه القبيلة أو العشيرة، فهو القائد الروحي للقبيلة ينظم فيها كل الأمور المادية والروحية، فهو المسؤول عن توزيع الأدوار والوظائف وحماية أعضاء القبيلة ورعايتهم وفك النزاعات التي تحدث داخل القبيلة ولم يكن المجتمع الجزائري يتبع النمط الطوطمي، كما أن المجتمع المنزلي لم يكن مبني على العائلة، بل كان هناك عبارة عن جماعة اجتماعية قائمة على القرابة الأبوية كرابطة طبيعية، بالإضافة إلى تأثر المجتمع الجزائري بالإسلام، هذا الدين الذي ترك آثاره القوية في تقاليد الأسرة الجزائرية من خلال السلوكات والعلاقات القرابية لأفرادها.

وقد أدى دخول الاستعمار الفرنسي إلى المجتمع الجزائري إلى العديد من التغيرات الاجتماعية المختلفة، فقد عمدت السياسة الاستعمارية إلى تفكيك النظام القبلي، وذلك بتجريد العشائر والقبائل من أراضيها كونها المصدر الاقتصادي ووحدة النظام الاجتماعي، وذلك من أجل تحطيم الروح الجماعية والعلاقات العائلية المدعمة بالملكية الجماعية، وتحرير الفلاح الجزائري من العلاقات القرابية التي تنسجها القبيلة أي تقليص الوحدة القرابية للفرد الجزائري، وهكذا حلت الملكية الفردية محل الملكية الجماعية، وانتقلت السلطة من حكم شيخي إلى نظام أبوي، ومن هنا بدأ توسيع السلطة الأبوية في المجتمع الجزائري وانتقال هذا الأخير من النظام العشائري إلى النظام العائلي في شكله الممتد الذي يتكون من عدة أسر يجمعها مسكن مشترك، وتتميز والعلاقات القائمة في الأسرة الممتدة باختلافات واضحة حسب السن، والجنس والاتجاه القرابي.

وأهم ما يميز الأسرة الجزائرية التقليدية ذلك الحاجز بين الجنسين، وهو حاجز سميك يرتكز على فكرة المحافظة على البقاء الأخلاقي والجسدي للمرأة واعتبار أن مهمتها مقتصرة على التنظيم المنزلي من طبخ وغسيل وغيره من الشؤون المنزلية المختلفة، وتبرز مكانة المرأة وتصبح ذات أهمية كلما كان لها عدد كبير من الأولاد الذكور، فهم مركز الاهتمام في الأسرة الجزائرية، وكما تتميز العلاقة القائمة بين الأب والأبناء بالاحترام للأب، ويظهر ذلك من خلال الحياء وعدم الكلام بصوت مرتفع أمامه.

ولكن ما إن ظهرت الثورة التي تميزت بالالتحام حول أهداف الحركة الوطنية، أدى ذلك إلى تغير العائلة التقليدية الجزائرية وكذا تغير اجتماعي داخل المجتمع الجزائري بصفة عامة، وبعد أن تحصل المجتمع الجزائري على الاستقلال سنة 1962، أصبحت بنية العائلة التقليدية الجزائرية مفككة، حيث أن أغلب الشهداء كان لهم أسر، وبالتالي حرم حوالي 300.000 من الأطفال من مراقبة ودعم آبائهم، وزيادة على ذلك فإن غياب الأب كرئيس تقليدي للعائلة سبب مشاكل حادة أثرت على استقرار هذه المؤسسة، وبعد فترة الاستقلال أصبح المجتمع الجزائري يمر بمرحلة تغيير عميق في البناء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي، كما مس هذا التغير البناء الأسري باعتبار الأسرة الجزائرية وحدة من وحدات المجتمع الجزائري، وعرفت ثلاثة أشكال:

- ✓ شكل الأسرة المحافظة والتي توجد خاصة في القرى، مع وجودها بقلة في المدن
- ✓ شكل الأسرة الانتقالية التي تجمع في نفس الوقت بين الأفكار الداعية للعصرنة والأفكار الداعية إلى المحافظة على الأفكار التقليدية، ويسود هذا الشكل خاصة في المدن الكبرى والمراكز الحضرية مع وجودها بقلة في الأرياف.
- ✓ شكل الأسرة المتطورة، التي تميل إلى الحياة الأوروبية في اللغة والعادات واللباس، غير أن هذا الشكل وجوده قليل في المدن ويكاد ينعدم في القرى.

غير أن التغيرات التي أحاطت بالأسرة الجزائرية الممتدة أصبحت تتسم بدرجات متفاوتة أي أنها تعددت بصورة نسبية وطبقا لتقدم الأحوال الحضرية العامة في المجتمع الجزائري ككل. وأشارت بعض الدراسات إلا أنه تبعا لحركة النزوح زمن الريف إلى الحضر بدأت الأسرة الجزائرية تفقد شكلها كأسرة ممتدة (يصل عدد أفرادها إلى أكثر من 40 فردا) لتتجه نحو شكل الأسرة الزوجية أو النووية، وهكذا بدأت المدن الجزائرية تستمر بهذا الشكل الجديد، وتحول بناء الأسرة الجزائرية من النظام الممتد إلى النووية، إلا أنه لم يكن بارزا بشكل واضح إلا بعد أن نزحت الأسرة إلى الوسط الحضري المختلف عن الوسط الريفي، ومن نمو اجتماعي واقتصادي استهلاكي يقوم

بالدرجة الأولى على علاقات القرابة ويعتمد على النتاج الزراعي والحيواني، إلى نمط اجتماعي فردي يقوم على الاقتصاد الصناعي والتجارة ويحكمه العمل المأجور في الزمان والمكان وأصبحت الأسرة الجزائرية المعاصرة (النووية) تتميز بصغر حجمها وتغير وظائفها وتغير مراكز أفراد الأسرة وخروج المرأة للتعليم وميادين العمل، كما أن تطور ونمو الاتصال بكل أشكاله والحراك الاجتماعي والإعلامي وتطور التعليم والعلاقات وتوزيع وتبادل الإيديولوجيات عن طريق الصحافة المكتوبة والإذاعة والكتب والسينما والتلفزيون، كان له تأثير على البنية الأسرة الجزائرية وتطورها.

من أبرز المشكلات المعرفية التي تواجه علم الاجتماع العائلي بصفة خاصة الأسرة الحديثة ودورها في المجتمع الإنساني نتيجة ظروف نشأتها الاجتماعي، الاقتصادي والمهنية، وأمام هذا الوضع الجديد، فالأسرة الحديثة أخذت في تكوين إيديولوجية جديدة يميزها وتدعم وجودها، لا سيما منها الأسرة الحديثة في المجتمع الغربي التي طرأت عليها تطورات شاملة النطاق في كل الطبقات، حيث رافق هذا التحول الكبير، تفكك النسق القرابي القديم إلى وحدات قرابية صغيرة نسبيا ومستقلة عنها، نعني الأسرة الممتدة والعشيرة، القبيلة، ومن أبرز هذه الوحدات: الأسرة الحديثة أو النووية والتي تتكون من الزوج والزوجة والأبناء غير المتزوجين، وكلهم يعيشون تحت سقف واحد بشكل مستقل عن أسرتي التوجيه أي أسرة كل من الزوج والزوجة.

أما المجتمع الجزائري بعد الاستقلال فحدث فيه تغير ديناميكي على نطاق واسع، إذ توسع نظام التربية والتعليم بوتيرة معتبرة أظهرت قواعد مدنية تنافس القوانين المعرفية إضافة إلى توسع المشاريع العمرانية في مناطق جغرافية عديدة، كما وضعت إستراتيجية جديدة للتنمية الريفية في إطار التخطيط العمراني "القرى الأش متنوعة خططت لها الدولة وكانت تهدف من ورائها لترقية الأحوال المادية للشعب والموافقة بين البنية التراكبية" والثورة الزراعية لضمان الاستقرار وفرص التشغيل، كما تخصص أفراد العائلة في تخصصات مهنية عن طريق التكوين المهني ثم الدخول في أعمال مختلفة ومهن متنوعة خططت لها الدولة وكانت تهدف من ورائها لترقية الأحوال المادية للشعب والموافقة بين البنية التحتية (الأسرة) و البنية الفوقية (القوانين).

خصائص الأسرة الجزائرية

تتميز الأسرة الجزائرية بخصائص وسميات عامة، تشترك فيها مع نظيراتها في الوطن العربي، كما أنها تتميز بخصائص وسميات أخرى، أوجدتها ظروف تاريخية وثقافية، واجتماعية، واقتصادية، أضفت عليها طابع الخصوصية؛ وقد عرفت الأسرة العربية ثباتا واستقرارا منذ عدة قرون، إلا أن

هذه العلاقات تشهد تغيرا سريعا في وقتنا الحاضر، كذا هو الحال بالأسرة الجزائرية التي مرت بمراحل متعددة في نشأتها وتطورها، ومنه تأثرت وظيفتها في ظل هذه التغيرات والتطورات، و من خصائصها الاساسية: أسر ممتدة، هرمية السلطة الأبوية، التضامن والتماسك وحدة دفاعية، أسرة تقليدية محافظة في أمور السمعة والشرف، وتأكيد الولاء الأسري، التسامح المفرط في الطفولة المبكرة، ثم التغير الحاد إلى تسلط وتحكم وتوجيه.

المرأة تكسب احتراماً في عالم الرجال لكونها أمّاً لذكر أو ذكور الميراث ينتقل في خط أبوي، من الأب إلى الابن الأكبر عادة حتى يحافظ على صفة اللانقسام للتراث.

للنبت درجة أقل من الرجل، وتعزز لديها الهدوء والرقّة، وسلوك الطاعة والانصياع وتحضيرها للعمل في المنزل.

ينتظر من الصبي أن يكون أكثر نشاطاً وأكثر قدرة على التنافس، وأكثر استقلالية واعتماداً على النفس.

الأسرة الجزائرية أسرة غير منقسمة، أي أن الأب له مسؤولية على الأشياء والأبناء المنحدرون من أبنائه والأبناء المنحدرون من أبناء أبنائه.

الأسرة الجزائرية هي عائلة موسعة، حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجه تحت سقف واحد يسمى "الدار الكبرى" عند الحضر و الخيمة عند البدو نجد من 20 إلى 60 شخص وأكثر يعيشون جماعياً .

العائلة الجزائرية هي عائلة بطريقية، الأب فيها والجد هو القائد الروحي للجماعة الأسرية وينظم فيها أمور تسيير الجماعة وله مرتبة خاصة، تسمح له بالحفاظ غالباً على مركزه في الأسرة بواسطة نظام محكم على تماسك الجماعة المنزلية، وفيها النسب ذكوري والانتماء أبوي، والمرأة يبقى انتمائها لأبيها.

تنتقل المسؤولية من الأب إلى الابن الأكبر حين غيابه وهذا للحفاظ على التوازن داخل الأسر. إن العائلة الجزائرية هي عائلة متماسكة أي أن الأب له المسؤولية على كامل الأفراد فالبنات لا يتركن البيت إلا عند زواجهن والأبناء لا يتركون البيت الكبيرة.

العائلة مصطلح يفهم منه تماسك الجماعة الأسرية الجزائرية التي يصفها ابن خلدون بالعصبية فبواسطتها تطورت القبائل نحو السلطة ونعني بها الشرف الأكبر، البركة الكبرى، الذي يوضح الموقع الروحي والاقتصادي للجماعة في الأسرة.

والملاحظ أن البنية الاجتماعية عبر اختلاف أشكال الحياة لسكان الجزائر بقيت مستقرة فالمجتمع الجزائري كان فيما مضى ذو عائلات ممتدة، لكن نتيجة للتغيرات الاجتماعية الكبيرة تحول إلى مجتمع ذو عائلات نووية مع وجود عدد قليل نسبيا من العائلات الممتدة.

ما فيما يخص الأسرة الجزائرية، فعلماء الاجتماع لم يتوصلوا إلى إيجاد الخصائص وتسمية واضحتين للأسرة الجزائرية، فمنهم من يتحدث عن الأسرة الممتدة، أو المركبة أو الموسعة، ويرجعون هذه التسمية إلى النموذج الأسري الفريد للأسرة الجزائرية وآخرون يتحدثون عن نموذج أسري متنوع مقدمين بذلك عدة أنماط للأسرة الجزائرية غير أن الاتجاه السائد يتعلق بوصف نموذج أسري ناتج عن استراتيجيات تكيف متعددة ومختلفة، ففي البحوث الميدانية يؤكد علماء الاجتماع على اختلاف وتعدد أشكال الأسر في الجزائر، أسرة نووية أسرة مركبة تتكون من عدة أزواج مع أطفال تمثل وحدة استهلاك تشترك في محل إقامة واحد.

العائلة الجزائرية و الثقافة التقليدية:

قدم الأستاذ سليمان مظهر عالم النفس الاجتماعي تعريفا للثقافة التقليدية على أنها عجز الأشخاص والشبكات العلائقية و الجماعات على التحكم في وسائل معيشتهم و تنظيم مصريهم حسب أهوائهم وحاجاتهم و طموحاتهم.

ويظهر هذا العجز حتى وإن اقبل الأشخاص على التجديد فهم معاكسون في تحقيق ذلك نظرا لثقل تلك الثقافة، الثقافة المتميزة ببعدين متمثلين في انتهاز الفرص والمساواة بين الناس يشير البعد الأول إلى تحقيق الأفراد المصالح الآنية بوسائل مختلفة مهما كانت طبيعتها مع الابتعاد عن كل أشكال الحداثة في ممارساتهم اليومية. أما البعد الثاني فيشير إلى منطلق المساواتية الذي ساوى بين الأفراد مهما كانت اختلافاتهم و توصل إلى فكرة مفادها ان النظام الاجتماعي التقليدي ونظام الحكم اتفقا على تخريب المحيط الخارجي المادي و الاجتماعي بهدف استمرارية كل واحد منهما و عدم مشاركتها السلطة من خلال بروز قيم مواطنة هادفة إلى التغيير.

تتركب الثقافة التقليدية من سلسلة التجارب الاجتماعية التي يعيشها الأشخاص والجماعات في محيط عدواني حر التصرف و تتميز هذه التجارب الاجتماعية بالخطر وعدم الأمن وعدم الاستقرار وعدم التحكم في وسائل المعيشة وهي تتشكل من مجموعة من التجارب الاجتماعية التي يعيشها الأفراد في المجتمع والتي تواجه وترفض أي تجديد أو تطور اجتماعي. حيث يستجيبون لها بصفة تلقائية لاشعورية إذ تتمثل هذه التجارب الاجتماعية في عدم القدرة على تلبية رغباتهم و حاجاتهم وفق تقلبات المحيط الخارجي.

الرجاء الاطلاع على المراجع و المواقع التالية

- سامية مصطفى الخشاب: النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م، القاهرة مصر 2008
- مصطفى بوتفنوش ت، ترجمة : أحمد دمري : العائلة الجزائرية ا لتطور والخصائص الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1984
- محمد السويدي: مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990
- نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية ، سليمان مظهر ، 2010
- Slimane Medhar , la violence sociale en algerie, Thala éditions , 2009.
- <https://bouraoui1belhadeb.wordpress.com/2013/01/06>
- <https://www.ennaharonline.com/>